الأقلام

الجزء الخامس ـ السنة الرابعة
شوال ١٣٨٧هـ
كانون الثاني ١٩٦٨م

الأدب العربي الحديث في الاستشراق الروسي

نجدة فتحي صفوة

يمتاز المستشرقون في الاتحاد السوفيتي عنهم في بلدان اوربا الاخرى وأمريكا بالعناية التي يوجهونها الى دراسة الادب العربي الحديث واعلامه . وبينما نجد الدراسات الشرقية في البلدان الاوربية والامريكية متجهة الى الادب القديم وحده ، مركزة اهتمامها على الكتب والمخطوطات القديمة ، غير مهتمة بالادب العربي الحديث ودراسته ، فاننا نرى بين أبحاث المستشرقين الروس دراسات كثيرة العدد بالغة الاهمية ، تعنى بشوءون العصر الحديث ، وادباء العرب المعاصرين وانتاجهم .

وأذكر اني عندما انتميت الى كلية الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن سنة ١٩٤٦ ، واخترت « شعر المهجر » موضوعا لرسالتي ، وافق مجلس الجامعة على الموضوع ، ولكن الكلية حارت في اختيار الاستاذ الذي تعهد اليه بالاشراف على الرسالة بين العديد من المستشرقين الذين يدرسون فيها ، ولم ير رئيس قسم الدراسات العربية ، المستشرق المعروف الاستاذ آربرى ، بدا من الاشراف عليها بنفسه ، بعد أن اعتذر عن ذلك سائر أساتذة الكلية لعدم المامهم بالادب العربي الحديث . ولم ينكر الاستاذ آربرى نفسه ـ وكان أكثرهم تتبعا للادب الحديث واتصالا بالحركات الادبية المعاصرة في البلاد العربية ـ ان الموضوع جديد عليه أيضا . فقد كان المستشرقون في ذلك العهد ـ وهو ليس بعيدا جدا ـ أشبه بأهل الكهف منقطعين للماضي يعيشون بين ركامه وآثاره ، ولا يمتون الى حاضر الموضوعات التي تخصصوا فيها بسبب ، ولم يكن هذا الحاضر ليثير شيئا من اهتمامهم ، ولم يظهر بين المستشرقين البريطانيين غير الاستاذ جب ـ الذي كان أوانذاك استاذا في جامعة اوكسفورد ـ من اهتم بدراسة الادب العربي الحديث ، فقد نشر هذا المستشرق في سنة ١٩٢٨ ، سلسلة مقالات في مجلة « مدرسة اللغات الشرقية » ـ كما كانت تسمى في السابق ـ بعنوان « دراسات في الادب العربي المعاصر » (١) أشار في فاتحتها الى قلة اهتمام المستشرقين الاوربيين بدراسة هذا الادب ، وانصرافهم جميعا عن حاضر الشعوب الاسلامية الى ماضيها ، وقال ان هذه الحقيقة ـ مهما كانت أسبابها ـ تبعث

على الاسف ٠

ومن الطريف ان الاستاذ جب ، في مقالاته هذه ، اعترف بامتنان أن المستشرق الروسى الاستاذ كراتشكوفسكى هو الذى شجعه شخصيا على المضى في هذه الدراسات ٠

وفي ذلك التاريخ الذى حارت فيه أكبر وأقدم مدرسة بريطانية للدراسات الشرقية في ايجاد استاذ يشرف على رسالة فى الادب العربى الحديث ، كان المستشرقون الروس قد قطعوا أشواطا بعيدة في دراساتهم عن هذا الادب ، تياراته وأعلامه وسماته المميزة ونواحى ضعفه وقوته ٠

ولا شك أن من العوامل الرئيسية في اهتمام المستشرقين الروس بالدراسات الادبية المعاصرة هو الاهتمام الذى أبدته الحكومة السوفيتية بالشؤون الشرقية في أعقاب ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ ، حيث وجه مجلس قوميسارى الشعب (مجلس الوزراء) للحكومة البلشفية نداءه المشهور الى « مسلمى روسيا والشرق » بعد نجاح الثورة بشهر واحد ٠ وقد تبلور هذا الاهتمام وظهر بشكل جدى بعد سنة ١٩٢٠ عندما استقر النظام السوفيتى ، وأخذت الحكومة الجديدة فى روسيا تتطلع الى العالم الخارجى ، وتشرع فى تخطيط علاقاتها بالدول والشعوب الاخرى ٠ فشعرت بالحاجة الى الدراسات العلمية للشؤون الشرقية التى كانت مهملة حتى ذلك التاريخ ٠ كما أن الدبلوماسيين الجدد الذين قررت الحكومة السوفيتية في بداية عهدها ارسالهم الى العواصم الآسيوية أخذوا يبحثون عن كتب ومراجع تتضمن معلومات عن أحوال تلك البلاد فلم يجدوا شيئا منها ، مما أظهر مدى الاهمال الذى لقيته الشؤون الشرقية حتى ذلك الوقت ، وأكد الحاجة الماسة اليها ٠

وفي ايلول سنة ١٩٢٠ قرر « الكومنترن » (٢) عقد مؤتمر للشعوب الشرقية في مدينة (باكو) ـ عاصمة أذربيجان ـ ، سمى رسميا « المؤتمر الاول لشعوب الشرق » وكان أوسع اجتماع عقد حتى ذلك التاريخ ، اذ حضره (١٨٩١) عضوا بينهم ممثلون عن تركيا وايران والصين ، وكذلك ممثلون من الارمن والجورجيين وغيرهم من شعوب القفقاس وآسيا الوسطى ، كما حضر المؤتمر ثلاثة من الاعضاء العرب (٣) ٠ وكان زعماء المناطق الاسلامية في الاتحاد السوفيتي حتى ذلك الوقت يشكون من أن المسؤولين في موسكو يقصرون اهتمامهم على الغرب ويتجاهلون الشرق ٠ وأثار « ناربوتابيكوف » ـ وهو محام من تركستان ـ هذه الشكوى في المؤتمر ، مذكرا زعماء موسكو بأنه ليس للاتحاد السوفيتى حليف أفضل من الشرق ، كما أيد هذا الاتجاه الزعماء الروس أنفسهم ، وحث زينوفييف ـ رئيس المؤتمر ـ وزملاؤه

المسلمين على جهاد مقدس ضد الغرب والاستعمار الغربي ، والاستعمار البريطاني بصورة خاصة ، قائلين : « ان الشرق اذا بدأ يتحرك فلن تبقى من اوربا الا رقعة صغيرة على الخارطة » وناشد « رادك » نزعة الآسيويين في النضال ضد الغرب تلك النزعة التى الهمت أسلافكم ، وزعماءكم العظام ، في زاحفهم لفتح اوربا (٤) .

وهكذا بدأت الشؤون الشرقية تلقى اهتماما متزايدا ، فأسست في الكومنترن « دائرة شرقية » ، كما اقيمت مراكز مماثلة للدراسات الشرقية في لينينغراد وغيرها من المدن الكبرى . وأنشأ الجيش الاحمر « قسما شرقيا » يتخصص فيه الضباط بأحوال البلاد الشرقية . وكانت المنظمة العليا التى تعنى بالدراسات الشرقية والتى انضوت تحتها جميع المعاهد والمؤسسات التى تعنى بتلك الدراسات هي « الجمعية العامة لاتحاد المستشرقين » ، وقد قررت سلطات الحزب تأسيسها فى نهاية سنة ١٩٢١ ، كما انشئت لها فروع في بعض المراكز الاسلامية المهمة في الاتحاد السوفيتي مثل طشقند وباكو وتفليس ، وأخذت تصدر عنها مجلة تنطق بلسانها باسم « نوفي فوستوك » ـ الشرق الجديد ـ وقد صدر عددها الاول عام ١٩٢٢ . وكان لهذه المنظمة ، فضلا عن الدراسات التى تصدر عنها ، دور كبير في تخطيط سياسة الحكومة السوفيتية فى الشرق خلال سنواتها الاولى . وكان «ميخائيل بافلوفيج » ـ وهو مواطن بولوني اسمه الحقيقي ويلتمان ـ أول رئيس لها ، وأبرز شخصية في ميدان الدراسات الشرقية المعاصرة ، وبقي حتى وفاته في سنة ١٩٢٧ المتحدث الرسمي عن السياسة السوفيتية فى الشؤون الشرقية ، واليه يعزى الفضل الاول فى توجيه اهتمام البلاشفة نحو الشرق .

وأخذت تصدر ـ الى جانب نوفى فوستوك ـ مجلات عديدة اخرى مختصة بالشؤون الشرقية أهمها : « حياة القوميات » و « الشرق الثوري » و « مواد عن مشاكل الاستعمار والقوميات»(٥) .

ولا شك ان الدراسات التي تصدر عن تلك الجمعيات والمراكز كانت تعنى بالشؤون الشرقية « المعاصرة » ، ولكنها كانت تهتم بالاحوال الاجتماعية والاقتصادية ، وترمي الى اهداف سياسية ، ولم تكن الناحية الأدبية لتحتل الا جزءا ضئيلا من دراساتها ، ولا تبحث الا عرضا .

أما الدراسات الاكاديمية التي تعنى بالادب والتاريخ فكانت مستمرة ، وكان المستشرقون المتفرغون للبحث العلمي ، والذين يعملون لوجه الادب وحده ، يواصلون ابحاثهم ودراساتهم في أكاديمية العلوم والجامعات ، دون ان تتدخل السلطات في عملهم ، طالما كان لا يمس سياستها ولا يخرج عن خطوطها العامة واتجاهاتها . وكان ابينهم رجال من الجيل القديم (امثال

بارتولد واولـدنبرك) ومستشرقـون ناشـئون (ككراتشكوفسـكي وغورديليفسكي) ، الا ان اهتمام هؤلاء المستشرقين بالشؤون المعاصرة كان محدودا بصورة عامة ، ولم يكن بينهم من يعير الادب الحديث أي اهتمام ، باستثناء كراتشكوفسكي الذي يعود اليه الفضل الاول في تشجيع هـذا الاتجاه ، والذي قضى خمسة واربعين عاما في دراسة اللغة العربية وآدابها ، وكان « اول من اثبت من العلماء الاوربيين ان هناك ادبا عربيا حديثا ضخما يستحق الاهتمام ، ادبا يعكس حياة العصـر »(٦) . وقد اصبحت مؤلفات كراتشكوفسكي من ذخائر الدراسات الادبية ، وسنت اتجاها جديدا بين الباحثين من المستشرقين والعرب على السواء . وعندما توفي هذا المستشرق العلامة قرر مجلس الوزراء السوفيتي وهيئة رئاسـة أكاديميـة العلوم السوفيتية في نيسان سنة ١٩٥١ اصدار مجموعة مختـارة من مؤلفـاته ، فصدرت في ستة أجزاء ضخمة ، وعدت حدثا هاما في الحياة الثقافية والعلمية للاتحاد السوفيتي(٧) ، وكان الجزء الثالث من هـذه المجموعة خاصـا بالدراسات المتعلقة بالادب العربي الحديث .

وقد أشار كراتشكوفسكي الى قلة الاهتمام بالادب العربي الحـديث في مقالة مهمة كتبها ـ باللغة العربية ـ لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٠ بعنوان « درس الآداب العربية الحديثة ـ مناهجه ومقاصده في الحاضر ـ نظر واقتراح »(٨) وقال فيه :

« أما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لائقة بها ، ولا اهتماما بجمـع مآخذها وموادها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطورة الحال لأن الفرصة تفوت ولا ترجع مدى الدهر مرة اخرى » .

ثم قال :

« ولا نعرف بين علماء اوربا على كثرتهم وتنوعهم الا اختصاصيا واحدا درس الآداب الحديثة بكل دقة وامعان ، الا وهو فارتين هارتمان الالمـاني المتوفى منذ عشر سنين ، وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامغماير الالماني ، ولذلك نرى في المانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد لها علاقة ببعض كتبة العصر أو بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب . أما البلدان الاخرى فلا نعرف فيها الا عالما واحدا ساح وتجول في أماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جـانبا من وقته واتعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب ، وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي » .

ويعلل الاستاذ كراتشكوفسكي ظاهرة اهمال الباحثين للآداب الحديثة بأن الانسان في كل زمان ومكان مولع بقديمه اكثر من حـديثه ، فلا يرى الحديث جديرا بالدرس كالشيء العادي الذي لا قيمة له(٩) . أما الاستاذ

جب فيرى ان أكثر التعليلات احتمالا هو ان المجموعة الصغيرة من الاوربيين الذين يقرأون العربية بشيء من السهولة منشغلون بالدراسات المتعلقة بالتاريخ الفني للاسلام والشعوب الاسلامية الى حد ان الحاضر لم يعد يعنيهم أو يجذبهم(١٠) .

ويرجع تاريخ اولى دراسات كراتشكوفسكي المهمة عن الحركة الادبية في هذا العصر الى ما قبل ثورة اكتوبر ، حيث كتب في سنة ١٩١١ بحثا مستفيضا عن « الرواية التاريخية في الادب العربي المعاصر »(١١) وهو بحث نقدي تحليلي عن روايات جرجي زيدان ويعقوب صروف وفرح انطون وجميل نخلة المدور وغيرهم . ثم أخذ هذا البحاثة الرائد ابتداء من سنة ١٩١٨ يحاضر في الادب العرابي الحديث في جامعة لينينغراد التي ربما كانت ، في ذلك التاريخ المبكر ، الجامعة الوحيدة في العالم التي يدرّس فيها الادب العربي المعاصر بطريقة علمية حديثة(١٢) .

وكتب كراتشكوفسكي في سنة ١٩١٩ مقالا بعنوان «الادب العربي»(١٣) استعرض فيه علاقة الادب العربي الحديث بالآداب القديمة وما يمتاز به عليها ، كما نشر في سنة ١٩٢٢ بحثا عن «نشوء الادب العربي وتطوره»(١٤) عرض فيه الخطوط العامة لتطور الادب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وفي سنة ١٩٢٤ مقالا بعنوان « الشعر العربي»(١٥) استعرض فيه هذا الشعر منذ العصر الجاهلي حتى القرن العشرين . وكان لنشر هذه المقالات ـ فضلا عن قيمتها العلمية ـ أثرها في تعريف الفئات الواسعة من القراء في روسيا بالادب العربي المعاصر .

وعندما جمعت السيدة كلثوم عودة فاسيليفا منتخباتها الادبية في سنة ١٩٢٨ ، كتب لها كراتشكوفسكي مقدمة ضافية جاءت بحثا مهما يحتوي على نظرة شاملة عميقة في الادب العربي الحديث خلال الربع الاول من القرن العشرين ، وكانت قيمة هذه الدراسة سببا في ترجمتها الى عدة لغات اجنبية(١٦) .

وفي عام ١٩٣٠ طلب المجمع العلمي العربي بدمشق الى الاستاذ كراتشكوفسكي ـ وكان قد منحه عضويته ـ ان يكتب لمجلته مقالا ، فاستجاب للطلب ، وكتب ـ باسلوبه العرابي الناصع ـ مقاله الذي سبقت الاشارة اليه بعنوان « درس الادب العربي المعاصر ـ مناهجه ومقاصده ـ نظر واقتراح » وعرض فيه نظرية جديدة ـ في وقتها ـ تدعو الى دراسة الادب العربي على ضوء المباديء والطرق التي تدرس بها الآداب الغربية ، وكان للمقال أثر ملحوظ في توجيه الدراسات الادبية الحديثة . كما طلب اليه محررو الطبعة الدولية « لدائرة المعارف الاسلامية » في سنة ١٩٣٤ ان يكتب لها بحثا لمادة « تاريخ الادب العربي الحديث » فكتبه باللغة الالمانية ، وكان أول بحث في موضوعه باللغات الاوربية ، وفيه عين الظروف

الزمنية والجغرافية للادب العربي الحديث ، واستشف الخطوط العامة لتطوره ، محللا شتى الاشكال الادبية من شعر ورواية وقصة ومسرحية .

وكتب كراتشكوفسكي ايضا سلسلة من المقالات والابحاث التي يدرس فيها ادب عدد من ابرز ممثلي الاتجاهات الحديثة كجرجي زيدان(١٧) والزهاوي(١٨) ومحمود تيمور(١٩) والانسة مي(٢٠) وتوفيق الحكيم(٢١)

ويمتاز كراتشكوفسكي بأنه كان أول مستشرق اوربي يعنى « بأدب المهجر » الذي لم يكن ينال قبله من عناية الادباء والباحثين ـ عربا ومستشرقين ـ الا القليل ، بل كان مجهولا لدى معظمهم . ففي سنة ١٩١٧ ـ وقبل ثورة اكتوبر ـ صدرت في موسكو مجموعة من كتابات أمين الريحاني مترجمة الى اللغة الروسية مع مقدمة لكراتشكوفسكي تعطي القاريء الروسي صورة مفصلة واضحة لأدب هذا الكاتب وابداعه(٢٢) ، كما انه كتب في سنة ١٩٢٨ دراسة مهمة بعنوان « الادب العربي في أمريكا »(٢٣) كانت أول دراسة جدية لهذه المدرسة الادبية الفريدة في الادب العربي الحديث ، وهي لاتزال محتفظة بقيمتها على كثرة ما صدر بعدها من دراسات عن ادب المهجر . ولكراتشكوفسكي ايضا بحث عن حياة ميخائيل نعيمة وأدبه(٢٤) ، ودراسة لكتابه عن جبران(٢٥) ، وفصل طريف عنه بعنوان « طالب المدرسة الدينية في بولتافا » في كتابه « مع المخطوطات العربية »(٢٦) .

وكراتشكوفسكي ايضا هو الذي ترجم الى اللغة الروسية كتاب « الايام » لطه حسين ، وعرّف القراء الروس بأدب هذا الكاتب العربي المعاصر ، وقد نشرت هذه الترجمة في سنة ١٩٣٤(٢٧) مع مقدمة عن المؤلف وتعليقات على الكتاب ، وكتب بعد ذلك مقالة في جريدة « موسكو ـ المساء » واسعة الانتشار للتعريف « بالايام » ومؤلفه(٢٨) ، ودراسة اخرى بعنوان «طه حسين وروايته الايام » نشرت في مجموعته(٢٩) ، ولعل هاتين الدراستين هما أول ما كتب عن هذا الاديب المعاصر الكبير وكتابه الخالد . والكراتشكوفسكي دراسة اخرى عن طه حسين ناقش فيها آراءه المعروفة في الشعر الجاهلي وآراء نقاده(٣٠) .

أما بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد تناول كراتشكوفسكي في دراساته تطور الادب العربي الحديث ، فنشر في عام ١٩٤٦ كراسا عن « المدارس والاتجاهات الادبية في البلدان العربية في القرن العشرين »(٣١) ، والقى في عام ١٩٤٧ محاضرة عن « التيارات الحديثة في الادب العربي في مصر »(٣٢) عرض فيها تلك التيارات حتى نهاية سنة ١٩٤٦ تقريبا ، واشار الى ظهور ادباء من الجيل الجديد في مصر يختلفون في آرائهم واتجاهاتهم عن كتاب الرعيل الاول . وعاد في سنة ١٩٤٩ الى الموضوعات نفسها في مقدمته لكتاب كلثوم عودة فاسيليفا الجديد « المنتخبات العصرية لدرس الآداب

العربية »(٣٣) ، كما كتب تحليلا لشعر « يوسف غصوب »(٣٤) و « محمد مهدي الجواهري »(٣٥) بمناسبة صدور مجموعتين من أشعارهما . وعندما احتفل بالذكرى الاربعين لثورة سنة ١٩٠٥ كتب دراسة بعنوان « أصداء ثورة سنة ١٩٠٥ في الادب العربي »(٣٦) فكانت دراسة قيمة فيها اصالة وجدة .

وتوفي الاستاذ اغناطيوس كراتشكوفسكي في سنة ١٩٥١ بعد أن خلف هذا التراث الضخم من الدراسات عن الادب العربي الحديث ـ الى جانب دراساته الواسعة في الموضوعات الاخرى ـ على ان كراتشكوفسكي ، وان كان رائد المستشرقين الروس ومرشدهم في الاهتمام بالادب العربي الحديث ، فان هناك باحثين آخرين عكفوا منذ أيام الحرب العالمية الثانية على دراسة الادب العربي الحديث ، ووضعوا عنه بحوثا بينها ما هو ذو قيمة كبيرة .

وبعد وفاة الاستاذ كراتشكوفسكي ـ الذي كان يقيم في لينينغراد ويدرّس في جامعتها ـ أخذت موسكو تحتل مكانتها كالمركز الاول للدراسات العربية في الاتحاد السوفيتي ، وان كانت أهميتها في تزايد منذ الاربعينات . وكانت موضوعات الادب المعاصر تحتل مكانة مهمة بين الابحاث والدراسات التي تصدر عنها .

ومن قدامى المستشرقين الروس الذين يجيدون اللغة العربية ، ولهم اطلاع على آدابها هو « عبدالرحمن سلطانوف » الذي عمل في السلك الدبلوماسي السوفيتي في العراق ولبنان ومصر واليمن(٣٧) ، وله دراسات قيمة في اللغة والآداب العربية ، بينها ما يختص بالادب الحديث كبحثه الذي نشره سنة ١٩٥٥ عن « الادب المصري في مرحلة جديدة »(٣٨) واشار فيه الى ظهور جيل من الكتاب التقدميين في مصر في السنوات التي أعقبت الحرب ، وقد طور سلطانوف في مقالته هذه فكرة كراتشكوفسكي عن ظهور تيار تقدمي جديد في الادب المصري التي أوضحها في مقدمة محاضرته عن « التيارات الحديثة في الادب العربي في مصر » ، وقد سبقت الاشارة اليها، وللاستاذ سلطانوف دراسات عديدة اخرى عن الحركات الادبية والثقافية في مصر كمقالاته « صراع التيارات الفكرية في الادب المصري الحديث »(٣٩) و « المراحل الرئيسية في تطور الثقافة الحديثة في مصر »(٤٠) ودراسة عن كتابين لعبدالرحمن الرافعي في تاريخ الحركة الوطنية في مصر(٤١) ورواية « الأرض » لعبدالرحمن الشرقاوي(٤٢) .

وللسيدة كلثوم عودة فاسيليفا مقال عنوانه « تصوير واقع المرأة العربية المعاصرة في القصة » كتب سنة ١٩٣٠(٤٣) ، كما ان هذه السيدة الفاضلة درست نواحي من الحركة الادبية في مختلف الاقطار العربية في المقدمات والكلمات الختامية التي كتبتها لعدد من المجموعات القصصية

المترجمة الى اللغة الروسية ، عن بعض الكتاب المعاصرين والتي نشرت بين سنتي ١٩٥٥ و ١٩٦٠(٤٤) ، كما كتبت « آنا دولينينا » مقدمة لمجموعة مترجمة بعنوان « النثر العربي »(٤٥) تضمنت منتخبات من مؤلفات « ولي الدين يكن » و « جبران خليل جبران » و « الريحاني » ، وكانت المقدمة دراسة عن جيل هؤلاء الادباء والقيمة الفنية لمؤلفاتهم . ولهذه الكاتبة ايضا بحث بعنوان « ما قبل الواقعية في الادب العربي الحديث » نشر في مجلة «مشاكل الاستشراق»(٤٦) .

ومن أكثر المستشرقين الروس ، من الجيل الجديد ، اهتماما بموضوعات الادب العربي الحديث « فالنتين بوريسوف » و « دانييل-سيمينوف » و « دانييل يوسوبوف » .

فقد كتب « بوريسوف » دراسة موجزة عن « التيارات الجديدة في في الادب العربي » نشرت في مجلة « نوفي مير »(٤٧) ـ العالم الجديد ـ التي تعد أهم المجلات الادبية في الاتحاد السوفيتي وارقاها ، واخرى بعنوان « الحياة الادبية في الاقطار العربية »(٤٨) وثالثة عن « الادب العربي بعد الحرب العالمية الثانية »(٤٩) . كما كتب « بوريسوف » مقدمة الترجمة الروسية لكتاب « الشيخ جمعة وقصص اخرى »(٥٠) لمحمود تيمور ، درس فيها أدب هذا القصصي المصري المعاصر ، ونشر في سنة ١٩٥٨ دراسات عن بعض مؤلفات احسان عبدالقدوس(٥١) ونجيب محفوظ(٥٢) .

و « لسيمينوف » دراسة موسعة جيدة عن رواية « ابراهيم الكاتب » للمازني نشرت سنة ١٩٤١(٥٣) ، كما ان له دراسات عن مؤلفات جرجي زيدان واثره في توجيه الحركة الادبية في العصر الحديث .

أما « يوسوبوف » فقد وضع رسالة عن « اثار الكاتب اللبناني عمر فاخوري والاتجاه الرئيسي لمجلة الطريق »(٥٤) كما نشر عن هذا الكاتب ومجلة « الطريق » التي كان يصدرها مقالات ودراسات عديدة . وللباحث نفسه دراسة عن جبران خليل جبران(٥٥) ، واخرى عن ميخائيل نعيمة(٥٦)، ومقدمة الكتاب « أمين الريحاني ـ دليل في ترجمة حياته وكتبه »(٥٧) .

وهنالك فضلا عن هذه الدراسات المتفرقة ، الرسائل العلمية والاطروحات التي يقدمها المستشرقون الناشئون الى الجامعات السوفيتية في موضوعات تتعلق بالادب العربي الحديث . ومن أهم هذه الرسائل رسالة « آ. ب. خالدوف » المعنونة « النثر الفني عند طه حسين »(٥٨) التي كانت دراسة ضخمة لعميد الادب العربي المعاصر وتطور ادبه ، ورسالة يوسوبوف ـ التي سبق ذكرها ـ عن عمر فاخوري ومجلته « الطريق » .

والى جانب محمود تيمور وطه حسين ، كان توفيق الحكيم من ادباء العرب المعاصرين الذين نال أدبهم أكبر الاهتمام من المستشرقين السوفيت. وقد ترجم ثلاثة من المؤلفات الكبيرة ـ على الاقل ـ الى اللغة الروسية ،

وهي « عودة الروح » التي ترجمت منذ سنة ١٩٣٥[٥٩] ، و « يوميات نائب في الارياف »[٦٠] ، ومسرحية « الصفقة [٦١] . كما نشرت مجلة « الادب الاجنبي » دراسة عنه بعنوان « تجربة طريفة لتوفيق الحكيم »[٦٢]، وكتبت « آنا دولينينا » بحثا مختصرا عنه في « التقويم الشرقي »[٦٣] ، وكلثوم عودة فاسيليفا مقالة باللغة الانكليزية في مجلة « الادب السوفيتي » بعنوان « توفيق الحكيم ـ الكاتب المصري »[٦٤] .

وظهرت في ابحاث المستشرقين الروس ـ اضافة الى ما تقدم ـ دراسات تختص بآداب بعض الاقطار العربية منفردة ، وتحلل خصائصها العامة ، كمقال « ل. نيكورا » عن « الادب في مصر الحديثة »[٦٥] ، ومقال « آلا راشكوفسكايا » المعنون « ادب مصر الحديثة »[٦٦] ، والمقالات التي نشرتها مجلة « الادب الاجنبي »ـ غفلا عن التوقيع ـ « مؤلفات جديدة لكتاب مصريين »[٦٧] و « الادب اللبناني في عام ١٩٥٦ »[٦٨] ، و « بحث في الادب العراقي الحديث »[٦٩] .

وقد حظى الادب العراقي الحديث بعناية غير قليلة من تلك الدراسات، ففضلا عن الفصول الموجزة التي كتبها الاستاذ كراتشكوفسكي عن الزهاوي والجواهري ، هنالك دراسة للاستاذ « غريغوري شرباتوف » عن « شعر معروف الرصافي »[٧٠] ، واخرى للكاتبة « آلا تريغولوفا » بعنوان «الشاعر الخطيب محمد مهدي الجواهري »[٧١] كما كتبت « غورودیتسكايا » كلمة ختامية للترجمة الروسية لديوان « عبدالوهاب البياتي » المعنون « أشعار في المنفى »[٧٢] .

وقد امتازت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بكثرة ما صدر خلالها في الاتحاد السوفيتي من الكتب المترجمة عن الادب العربي ، وتلك ظاهرة لا نشاهد لها مثيلا في اللغات الاوربية الاخرى . وقد كان معظم تلك المؤلفات المترجمة من انتاج ادباء العرب المعاصرين . ولابد من الاشارة هنا الى ان ترجمة المؤلفات العربية في الاتحاد السوفيتي لم تقتصر على اللغة الروسية وحدها ، وانما امتدت الى لغات شعوب الاتحاد السوفيتي الاخرى ـ ولا سيما شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس التي لا يزال المسلمون ، برغم الاختلاط والهجرة ، يؤلفون السواد الاعظم من ابنائها . ولا شك ان تلك الشعوب تشعر برابطة خاصة تربطها بلغة القرآن وآدابها . وقد نشرت اقاصيص الادباء العرب وقصائدهم في صحفها الدورية ، كما صدرت في مجموعات مستقلة . ويقول المستشرق الاستاذ شرباتوف ان عدد الكتب التي ترجمت في الاتحاد السوفيتي عن الادباء العرب حتى سنة ١٩٦١ قد بلغ (١٢٤) كتابا ، وهي نسبة مرتفعة جدا بالقياس الى ما ترجم من اللغة العربية الى أية لغة أخرى ، وان عدد النسخ المطبوعة منها قد بلغ خمسة ملايين ونصفا ، في (٣٠) لغة من لغات شعوب

الاتحاد السوفيتي(٧٣) ٠

على ان الباحث الذي يستعرض دراسات المستشرقين السوفييت للادب العربي الحديث ، والآثار المترجمة الى الروسية عن هذا الادب ، لا يسعه الا أن يلاحظ أن موضوعات تلك الدراسات والترجمات لم يتم اختيارها وفقا لمقياس معين او قاعدة ثابتة ٠ ولذلك نجد دراسات مسهبة متعددة عن كتاب ليسوا من الطبقة الاولى ، وترجمات لمؤلفات ثانوية في أهميتها وقيمتها الادبية ، بينما نرى كتابا أهم منهم ، ولهم انتاج أغزر ، وأثر في الحياة الادبية أبعد ، لم تكتب عنهم دراسة ، ولم تترجم لهم قطعة ٠ والعل القاعدة الوحيدة التي يبدو انها روعيت ـ الى حدما ـ في اختيار موضوعات الدراسات والترجمات ، هي اتجاه الكاتب السياسي والاجتماعي ، حيث وضع ذلك في المكان الاول قبل قدرته الفنية أو مكانته الادبية ٠ وقد ظهر هذا الاتجاه بصورة أوضح في الدراسات التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية ٠ وهكذا نجد في السنوات الاخيرة دراسات وترجمات كثيرة عن « عمر فاخوري » و « عبدالرحمن الشرقاوي » و « جورج حنا » و « ذوالنون ايوب » ، بينما لانجد ذكرا في اية دراسة روسية لكتاب اوسع منهم شهرة وأكبر مكانة في الادب العربي الحديث ، كالعقاد والرافعي والزيات ٠ بل اننا لا نجد بين الدراسات الكثيرة عن الشعراء المعاصرين ذكرا لأحمد شوقي (الشاعر الارستقراطي) في حين ان معاصره حافظ ابراهيم (الذي طرق كثيرا من الموضوعات الاجتماعية) يتردد ذكره في تلك الدراسات ، وعلى هذا القياس أيضا لا نجد لشعراء كخليل مطران وبشارة الخوري وعلي محمود طه وعمر ابي ريشة مكانا في الدراسات السوفيتية ولا في الترجمات الروسية ، ولكن شعراء دونهم ابداعا وشهرة مثل « يوسف غصوب » و « وصفي البني » و « رضوان الشهال » و « وصفى قرنفلي » تدرس اشعارهم وتترجم قصائدهم مرة بعد مرة ٠

ولا شك ان هذه الظاهرة لا يصعب تحليلها على ضوء المباديء التي « توجه » الدراسات الادبية والفنية في ظل النظام السوفيتي بصورة عامة ٠ ويوفر الباحث على نفسه كثيرا من العناء اذا سلم بهذه الحقيقة ، وقبلها كما هي ـ سواء أكانت موافقة لرأيه أم لم تكن ـ متذكرا ان اولئك الباحثين والمترجمين لهم ان يختاروا من الموضوعات ما يوافق اتجاههم او يرضي مزاجهم أو يجنبهم المشاكل ٠

ومهما يكن من أمر ، فان المستشرقين الروس قد أولوا الادب العربي الحديث ودراسة آثاره واعلامه عناية لانجدها عند غيرهم ٠ وذلك دليل على اتجاه نافع في الثقافة السوفيتية ، وتفتحها على ثقافات الامم الاخرى ، ومظهر من مظاهر الاهتمام المتزايد بالبلاد العربية وآدابها ٠

(١) H.A.R. Gibb, *Studies in Contempirary Arabic Literature*; Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol. IV, part IV, London, 1928, pp. 745-760.

(٢) «الكومنترن» هو التسمية المختصرة للاتحاد العالمي للاحزاب الشيوعية الذي اسسه لينين سنة ١٩١٩ ، وعرف ايضا باسم «الاممية الثالثة» • وكان زينوفييف أول سكرتير عام له ، ثم خلفه تروتسكي ثم رادك ثم بوخارين ، وتقرر حله سنة ١٩٤٣ •

(٣) E.H. Carr, *The Bolshevik Revolution*, vol. III, London, 1961, p. 260.

(٤) Walter Z. Laqueur, *The Soviet Union and the Middle East*, London, 1959, p. 19-20.

ولهذا الكتاب ترجمة عربية بعنوان « الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط » بقلم « لجنة من الاساتذة الجامعيين » من منشورات «المكتب التجارى للطباعة والنشر » ـ بيروت ، ولكنها للاسف مشحونة بالاخطاء والتحريفات والنواقص ، ولا يمكن الاعتماد عليها •

(٥) Ivan Spector, *The Soviet Union and the Muslim World*, Seattle, 1955, p. 104-105.

(٦) « مذكرات جمعية المستشرقين » المجلد الخامس ١٩٣٠ ص١

(٧) غريغوري ش•شرباتوف « الاستعراب في الاتحاد السوفيتي » موسكو ، سنة ١٩٦١ ص ٧٨ •

(٨) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق • المجلد العاشر • سنة ١٩٣٠ ص١٧ـ٢٨ •

(٩) المرجع السابق ، ص ١٩

(١٠) مجلة مدرسة اللغات الشرقية سالفة الذكر ص ٧٤٥ •

(١١) مجموعة كراتشكوفسكي الجزء ٣ ص١٩ـ٤٦ ، وقد ترجمت هذه الدراسة الى اللغة الالمانية في سنة ١٩٣٠ بقلم « جوهرد فون مندى » وعرفت بالترجمة مجلة « لغة العرب » الجزء ١٠ السنة ٨ ، تشرين الاول ١٩٣٠ ص ٧٩٧ ـ بكلمة يبدو من اسلوبها أنها بقلم صاحبها الاب انستاس الكرملي جاء فيها : « هذه مقالة ، بل رسالة ، جمعت فوعت كل ما الف في هذا الموضوع • والاستاذ كراتشكوفسكي حجة ثقة في كل ما يكتب • وقد طالع لهذه الغاية مئات من الكتب ، ووقف على جميع الانتقادات التى وضعها الادباء فى هذا السبيل » ثم اعرب عن أمله بان يرى هذه الدراسة مترجمة الى اللغة العربية • ولكن هذا الامل لم يتحقق والرسالة لما تترجم الى اللغة العربية حتى يومنا هذا •

(١٢) في رسالة من كراتشكوفسكي الى أحمد تيمور باشا بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ نجد المستشرق الروسى يسأله عن صدور الجزئين الثانى والثالث من موءلفات والده المرحوم محمد تيمور ويقول : « هذا مما يهمنى جدا في الوقت الحاضر لاني القى الدروس فيهذه السنة فى تاريخ الاداب العربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وقد وصلت الى تاريخ المرسح العربى » (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٤ الجزء ١٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ ص ٥٦٤) •

(١٣) مجلة « فسميرنايا ليتراتورا » ـ الادب العالمى ـ العدد الاول سنة ١٩١٩ ص ٢٤ـ٣٣ •

(١٤) مجلة «فوستوك» ـ الشرق ـ الجزء الاول سنة ١٩٢٢ ص ٦٧ـ٧٣ •

(١٥) مجموعة كراتشكوفسكي ، الجزء الثانى ص٢٤٦ـ٢٦٥ •

(١٦) اعيد نشر هذه المقدمة في مجموعة كراتشكوفسكي الجزء الثالث ص ٤٧ـ٦٤ •

(١٧) المرجع السابق ص ٢٣٤ـ٢٣٧ •

(١٨) المرجع السابق ص ٢٥١ـ٢٥٤ ٠
(١٩) المرجع السابق ص ٢٥٥ـ٢٦٠ ، وله فصل عن مجموعة تيمور فى كتابه « مع المخطوطات العربية » ـ الترجمة العربية موسكو ـ بدون تاريخ ص ١٠٣ـ١١٦ ٠
(٢٠) مجموعة كراتشكوفسكي ، الجزء الثالث ، ص ٢٤٤ـ٢٤٦ ٠
(٢١) دراسة عن كتابه «محمد» ، المرجع السابق ص ٣٤٤ـ٣٤٧ ٠
(٢٢) صدرت هذه المجموعة عن دار «أوغني» ـ الانوار ـ للنشر ، وقد اعيد نشر المقدمة في مجموعة كراتشكوفسكي ، الجزء الثالث ص ١٣٧ـ١٤٥ ، كما خص كراتشكوفسكى أمين الريحانى بفصل بعنوان « فيلستوف الفريكة » في كتابه مع المخطوطات العربية الترجمة العربية ص ٩٣ ٠
(٢٣) نشرت في مجلة « أنباء جامعة لينيغراد » الجزء الاول سنة ١٩٢٨ ص ١ـ٧ ٠
(٢٤) مجموعة كراتشكوفسكي ، الجزء الثالث ص ٢٢٣ـ٢٢٨ ٠
(٢٥) المرجع السابق ص ٣٤٨ـ٣٥١ ٠
(٢٦) الترجمة العربية ص ١١٦ـ١٢٩ ٠
(٢٧) نشر دار الدولة لطباعة الادب في موسكو ٠
(٢٨) « فيجرنايا ـ موسكفا » ـ موسكو المساء ـ العدد الصادر بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٣٤ ، وللاستاذ كراتشكوفسكي مقال بعنوان « الادب العربي في الترجمات الروسية » نشر في جريدة « كراسنايا غازيتا » ـ الجريدة الحمراء ـ بتاريخ ١٤ تموز ١٩٣٤ ٠
(٢٩) مجموعة كراتشكوفسكى ، الجزء الثالث ، ص ٢٣٨ـ٢٤٣ ٠
(٣٠) المرجع السابق ص ١٨٩ ٠
(٣١) أعيد نشره في مجموعته ، الجزء الثالث ، ص ٨٦ـ١٠٦ ٠
(٣٢) نشرت للمرة الاولى فى مجموعته ، الجزء الثالث ، ص ١٠٧ـ١١٤ ٠
(٣٣) أعيد نشرها في مجموعته ، الجزء الثالث ، ص ١١٥ـ١٢٠ ٠
(٣٤) المرجع السابق ، ص ٣٧٥
(٣٥) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ ٠
(٣٦) مجلة «الاستشراق السوفيتي» ج٣ سنة ١٩٤٥ ص ٥ـ١٤ ٠
(٣٧) وللاستاذ سلطانوف نجل مستشرق أيضا يجيد اللغة العربية كاحد ابنائها ويعمل في وزارة الخارجية السوفيتية ٠ وقد اسعدنى الحظ ـ عندما كنت في موسكو ـ بالتعرف على كليهما ٠
(٣٨) مجلة « انباء اكاديمية العلوم السوفيتية ـ قسم الاداب واللغة » المجلد ١٤ج١ سنة ١٩٥٥ ص ٦٣ـ٧٢ ٠
(٣٩) اعمال معهد الاستشراق بموسكو ، ج٦ سنة ١٩٥١ ص ١١٧ـ١٢٩ ٠
(٤٠) « الاستشراق السوفيتي » ، العدد ٣ سنة ١٩٥٧ ص ١٥١ـ١٥٩ ٠
(٤١) « انباء موجزة لمعهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية » المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٨ ص٣٠ـ٤٠ ٠
(٤٢) « السلاجت العلمية لمعهد شعوب اسيا التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية » المجلد ٢٢ سنة ١٩٦٠ ص ١٣١ـ١٣٥ ٠
(٤٣) « سجلات مجموعة المستشرقين لدى المتحف الاسيوي التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية » ج٥ ، سنة ١٩٣٠ ، ص ٢٩٣ـ٣٠٦ ٠
(٤٤) منها : « قصص للكتاب العرب » ،موسكو سنة ١٩٥٥ ، و « ١٩ قصة مصرية » ، موسكو سنة ١٩٥٧ ، و « قصص للكتاب اللبنانيين » ، موسكو سنة ١٩٥٨ ، وترجمة كتاب « كهان الهيكل » لجورج حنا ، موسكو سنة ١٩٥٥ ، و « الخبز والارض والماء » تاليف ذو النون أيوب ، موسكو سنة ١٩٦٠ ٠

(٤٥) نشر في موسكو سنة ١٩٥٦ ٠
(٤٦) العدد ٣ ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٥٨ـ٦٧ ٠
(٤٧) العدد ٥ ، سنة ١٩٥٤ ، ص ٢٦٦ـ٢٦٩ ٠
(٤٨) مجلة « نوفي فوستوك » ـ الشرق الجديد ـ العدد ٢٠ سنة ١٩٥٦ ص ٢٩ـ٣٢ .
(٤٩) مجلة « مسائل الادب » ، العدد ٨ سنة ١٩٥٨ ص ٣ـ٢٥ ٠
(٥٠) نشرت سنة ١٩٥٧ عن دار كتب «اوغونكا» ٠
(٥١) مجلة «الادب الاجنبي» العدد ٥ سنة ١٩٥٨ ص ٢٦٣ـ٢٦٤ ٠
(٥٢) مجلة «الادب الاجنبي» العدد ٦ سنة ١٩٥٨ ص ٢٦١ـ٢٦٢ ٠
(٥٣) مجلة «الاستشراق السوفيتي» ج٢ سنة ١٩٤١ ص ١٤٩ـ١٦٨ ٠
(٥٤) نشرت في موسكو سنة ١٩٥٤ ٠
(٥٥) السجلات العلمية لمعهد شعوب اسيا التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية ، ج٢٢ سنة ١٩٦٠ ، ص ١٠١ـ١٠٨ ٠
(٥٦) الاستشراق السوفيتي ، العدد ٣ ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٣٩ ٠
(٥٧) نشرت في موسكو سنة ١٩٥٨ ٠
(٥٨) لينينغراد سنة ١٩٥٥ ٠
(٥٩) نشرت في لينينغراد مع مقدمة لمترجمها ميخائيل ساليه ٠
(٦٠) نشرت بالروسية سنة ١٩٥٩ مع مقدمة بقلم « ن٠عثمانوف » ٠
(٦١) نشرت في موسكو سنة ١٩٦٠ مع مقدمة بقلم « فلاديمير سولوفيوف» ٠
(٦٢) العدد ٢ سنة ١٩٥٨ ٠
(٦٣) «فوستوجني المانك» ـ التقويم الشرقي ـ الجزء الاول سنة ١٩٥٧ ص٢١٨ـ٢١٩
(٦٤) Soviet Literature, 195, No. 2, p. 89-91.
(٦٥) مجلة «نوفي مير» ـ العالم الجديد ـ العدد ٩ سنة ١٩٣٣ ٠
(٦٦) Soviet Literature, 1956, N. 11, p. 154-158.
(٦٧) مجلة «الادب الاجنبي» العدد ٨ سنة ١٩٥٧ ص ٢٨٠
(٦٨) مجلة «الادب الاجنبي» العدد ٥ سنة ١٩٥٧ ص ٢٨٢ ٠
(٦٩) مجلة «الادب الاجنبي» العدد ٢ سنة ١٩٥٧ ص ٢٧٦
(٧٠) مجلة «الاستشراق السوفيتي» العدد ٧ سنة ١٩٥٩ ص ٢٥
(٧١) مجلة «الاستشراق السوفيتي» العدد ١٢ سنة ١٩٥٩ ص ٣٧
(٧٢) نشرت في موسكو سنة ١٩٥٨ ٠
(٧٣) غريغوري شرباتوف «الاستعراب في الاتحاد السوفيتي» ، موسكو سنة ١٩٦١ ص ٩٦